المنهج التعليمي للشيخ محمَّد بنِ درويش الحوت في كتابه "أعجب العجب في مباحث مفردات لغة العرب"، باب حروف العطف نموذجًا: دراسةٌ تحليليَّة

* هادية يوسف شرف

قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجامعة العالمية في بيروت - لبنان.

*البريد الإلكتروني: sharafhadia9@gmail.com

الاستلام	2025/5/30	المراجعة	2025/6/20	القبول	2025/7/20	النشر	2025/10/1

الملخص:

يتناولُ هذا البحثُ منهجَ مفتي بيروت الأسبق العلامة الشيخ محمد بن درويش الحوت (1277ه)، في معالجةِ حروفِ العطف ضمن كتابه "أعجب العجب في مباحث مفردات لغة العرب"، وهو أحد كتبه اللغويَّة التي تعكِسُ عُمقًا نحويًّا وبلاغيًّا في تحليل المفرداتِ ودلالاتِها، وقد ارتكز البحثُ على عَرض كيفيَّةِ تناول الشيخ الحوت لحروفِ العطف من حيث تعريفها ووظائفها النَّحويَّة والدِّلاليَّة مستنِدًا إلى الأدلَّة من القرآن الكريم والشواهد الشعريَّة والنثريَّة.

يسعى البحثُ إلى إبراز المنهجِ التوفيقيِّ الذي سار عليه الشيخ الحوت حيث جمع بين التَّحليلِ اللغويِّ الدَّقيقِ والأسلوب التعليميِّ الميسَّر، مع اعتمادِ تقسيمٍ واضحٍ لأنواعِ حروفِ العطف، وبيانِ أثرِ كلِّ حرفٍ في المعنى والتركيب، كما يُظهِرُ البحثُ كيف تناولَ الشيخُ الآياتِ القرآنيَّةَ لإيضاح المعاني البلاغيَّة لكلِّ حرفٍ، ممّا يعكِسُ وعيًا لغويًّا وبلاغيًّا متقدِّمًا.

وقد خلصَ البحثُ إلى أنَّ الشيخَ الحوتَ لم يكن نحويًّا بالمعنى التقليديِّ فقط، إنَّما كان لغويًّا بلاغيًّا يُجيدُ توظيفَ الظاهرةِ النَّحويَّة لخدمةِ المعنى، ممّا يجعلُ منهجَه مناسِبًا للدَّارسِ المعاصِر في فهمِ وظائفِ حروف العطفِ ضمن سياقِها اللغويّ والبيانيّ.

الكلمات المفتاحية:

الشيخ محمد الحوت، كتاب أعجب العجب، حروف العطف، التطبيق اللغوي، بلاغة التركيب.

The Educational Approach of Sheikh Muhammad bin Darwish Al-Hout in His Book *"The Wonder of Wonders in the Study of the Vocabulary of the Arabic Language"*: Using the Chapter on Conjunction Particles as a Model: An Analytical Study

*** Hadiya Youssef Sharaf:**

Department of Arabic Language and Literature – Faculty of Arts and Humanities – Al-Jinan University, Beirut – Lebanon.

*Email: sharafhadia9@gmail.com

Abstract:

This research examines the methodology of the former Mufti of Beirut, the scholar Sheikh Muhammad ibn Darwish al-Hout (1277 AH), in his treatment of conjunctions within his book "A'jab al-'Ajab fi Mabahith Mufradat Lughat al-'Arab". This book is one of his notable linguistic contributions, reflecting a deep grammatical and rhetorical approach to analyzing vocabulary and its semantic dimensions. The study focuses on how Sheikh Al-Hout examined conjunctions — their definitions, grammatical functions, and rhetorical roles — drawing on evidence from the Qur'an as well as poetic and prose sources.

This research seeks to highlight the reconciliatory methodology that Sheikh al-Hout followed, where he combined precise linguistic analysis with a simplified educational approach, while adopting contextual interpretation for the types of conjunctions. He demonstrated the effect of each particle on meaning and the eloquence of composition. His method reveals an influence from Qur'anic studies, particularly in how he employs contextual analysis to interpret language constructs.

The research concludes that Al-Hout's methodology is distinguished not in a purely traditional sense, but in its effectiveness in utilizing grammatical phenomena to serve deeper semantic understanding. This makes his work a valuable reference for contemporary scholars seeking insight into the function of conjunctions within their linguistic and rhetorical frameworks.

Key words: Sheikh Muhammad Al-Hout, *A'jab al-'Ajab*, conjunctions, linguistic application, rhetorical structure.

المقدمـــــة:

تحظى اللغةُ العربيَّةُ بمكانةٍ ساميةٍ وشأنٍ عال، فهي أفضلُ اللغات، تمتاز بدقَّةِ التَّعبير وغنى المفردات واتِّساع الأساليب، وقد اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بدراسةِ مفردات هذه اللغةِ وتراكيبِها، وأَوْلَوْا لذلك عنايةً كبيرة، ومن هذه الدراساتِ ما تَعلَّقَ بحروف المعاني وفي مقدِّمتِها حروفُ العطف، لِما لها من أثرٍ بيّنٍ في ربطِ الجمل وتحديدِ العلاقات الزمانيّة والمعنويَة بينها.

يُعَدُّ الشيخُ محمد درويش الحوت البيروتيّ من الأعلام الذين خدموا العربيّةَ بجهدٍ علميٍّ متميّز، فكان له اهتمامٌ خاصٌّ بالبحثِ في دقائقِ المفرداتِ ومعاني الحروف، وقد ظهَرَ ذلك جليًّا في كتابه الموسوم "بأعجب العجب في مباحث مفردات لغة العرب" الذي مثَّل نموذجًا متميّزًا في الجمع بين التحقيق اللغويّ العميق والأسلوب التعليمي الميسّر.

ومن بين المباحث التي تناولها الشيخُ الحوت بعنايةٍ مبحثُ حروف العطف، حيث عَرضها بتقسيمٍ دقيق، وبيَّن وظائفَها الإعرابيّة والدلاليَّة، واستشهدَ على معانيها بالنُّصوصِ القرآنيّة والشواهدِ الأدبيَّة ممّا أكْسَبَها بُعْدًا نحويًّا وبلاغيًّا معًا.

إشكاليَّة البحث:

رغم وفرة الدِّراساتِ النَّحويَّة في حروف العطف فإن بعضَها اقتصر على الجانبِ الإعرابيّ أو النَّظريّ التقسيميّ المجرّد، دون إبراز العلاقة العميقة بين المعنى البلاغيّ والتطبيقِ التعليميّ لهذه الحروف، فمن هنا تكمنُ إشكاليّة البحث في:

1- كيفيّةِ معالجةِ الشيخ محمّد الحوت مبحثَ حروف العطف في كتابه "أعجب العجب"؟

2- ما هي الأسُسُ التي اعتمَدَها في الجمعِ بين الدقَّةِ اللغويَّة والوضوح التعليمي؟

3- كيف تناولَ النصوصَ والشواهدَ في بيان المعاني وفي سبيل تقديمِ مادّةٍ تطبيقيَّة؟

أهمية البحث:

إن أهميَّة هذا البحث نابعةٌ من عدَّةِ جوانب وهي:

1- أهمية الموضوع: ذلك أنَّ حروف العطف تشكِّلُ ركنًا أساسيًّا في بناءِ الجملة العربيَّة وفي ربط المعاني، فدراستُها تُعَدُّ مَدخَلًا مهمًّا لفهمِ التراكيبِ والنّصوص.

2- الأهميَّة التوثيقية: حيث يتناولُ منهجَ عالِمٍ لغويٍّ بارزٍ من علماء القرنِ الثالث عشر الهجريّ، وهو الشيخُ محمد الحوت الذي لم يُسَلَّطْ عليه الضّوءُ في دراساتٍ حديثةٍ بالشكلِ الكافي، ممّا يفتحُ آفاقًا جديدةً للباحثين في مجالِ التراثِ النحويّ والبلاغيّ.

3- الأهميَّة المنهجيَّة: لأنه يجمع بين التحليل اللغويّ الدقيق والطّرح التعليمي البسيط فيشكل نموذجًا تربويًّا يمكن الإفادةُ منه في مناهجِ تعليمِ اللغة العربيَّة.

4- الأهميَّة التطبيقيَّة: حيث أشار البحث إلى أنه يمكن اعتمادُ المنهجِ الذي عرضه الشيخ الحوت في تدريس علوم اللغة، نحوًا وغيرَه، في الإسهام في النهوضِ في مستوى التعليم المتوسِّط والجامعيّ، لوضوحِه في تقريب المفاهيم اللغويَّة للمتلقي.

أهداف البحث:

يهدِفُ هذا البحث إلى:

1- تسليط الضوء على الجهود اللغوية لأحد كبار علماء لبنان في القرن التاسع عشر، ممن أغفلت

معظم الدراسات الحديثة الإشارة إليهم وإلى تراثهم العلمي الغني.

2- تحليل منهج الشيخ محمد الحوت في عرْضِ حروف العطف في كتابه "أعجب العجب في مباحث مفردات لغة العرب".

3- بيانِ الأبعاد النحويَّة والبلاغيَّة التي انطلق منها في معالجة دلالات حروف العطف.

4- الكشف عن الأساليب التعليميّة التي اتَّبعها الشيخ الحوت في تبسيطِ المفاهيمِ اللغويَّة.

5- رصدِ توظيفِه للشواهد في إيضاح المعاني الدَّقيقة لحروف العطف.

6- إبراز القيمة العلميّة والتَّربويَّة لهذا المنهجِ في خدمة دارسِي اللغة العربيَّة قديمًا وحديثًا، فيصلحُ لذلك جعلُه مرجِعًا يُحتذى في تعليم العربيّة.

خطة البحث:

يتضمن هذا البحث المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الحوت والإطار النظري التعريفي لحروف العطف.

أولا: لمحة عن حياة الشيخ محمد درويش الحوت.

ثانيا: تعريف حروف العطف عند النحاة.

المبحث الثاني: حروف العطف في كتاب "أعجب العجب في مباحث مفردات لغة العرب".

أولا: عَرْضُ الشيخ الحوت لحروف العطف وتقسيمُه لها.

ثانيًا: التحليل البلاغي والدِّلالي لحروف العطف في الكتاب.

ثالثًا: الجمع بين التفسير اللغوي العميق والأسلوب التعليمي الميسَّر.

المبحث الثالث: البُعْدُ التَّطبيقيُّ والتعليميُّ في منهج الشيخ الحوت.

أولا: تسهيل فهم النصوص الشرعيَّة.

ثانيًا: إتقان استخدام أدوات الربط.

ثالثًا: الجانب التعليميُّ في "أعجب العجب في مباحث مفردات لغة العرب".

الخاتمة: تتضمن:

1- أهمَّ النتائج مع ربطها بالأهداف.

2- أهمَّ التوصيات والمقترحات.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد الحوت والإطارُ النّظريُّ التعريفيُّ لحروف العطف.

أولا: التعريف بالشيخ محمد بن درويش الحوت.

هو الشيخ محمد بن درويش بن محمّد البيروتيّ الشهير بالحوت، كنيتُه أبو عبد الرحمن، أحد العلماء الأفاضل والنُّبلاء الفواضل؛ محدِّثٌ شافعيٌّ، وشريفٌ حسينيٌّ من عائلةِ تُقى وصلاح، ولد عام 1203ه، في بيتِ علمٍ وعبادةٍ وتقوى في بيت والده الشيخ درويش، حيث تعلَّم وتفقَّه وعلَّم، وحاز منصبَ الإفتاء في بيروت سنة 1272ه، وقد قارب التاسعة والستين من عمره.

كان من أكابر العلماء حافِظًا كتابَ الله عن ظهر قلب، قرأ العلمَ أوَّلَ أمرِهِ في مدينته بيروت على مفتيها الشيخ عبد اللطيف فتح الله[1]، ثم سافر إلى دمشق الشام لمزيدٍ من التحصيل العلميّ، ثم عاد إلى بيروت فأخذ يدرّسُ فاشتغل بالمطالعة والتَّدريس والتَّأليف والوعظ والإرشاد فكانت له اليدُ الطُّولى بتعليم العلوم الدِّينيَّةِ ونشرِها إضافةً إلى تولِّيه منصبَ الإفتاء (الزركلي، 1986، 74/4)، و(كحالة،1957، 299/9).

من أشهرِ تلاميذه:

1- الشيخ عبد الباسط الفاخوري[2].
2- الأستاذ الشيخ أبو الحسن قاسم بن محمد الكستي[3].
3- ولده الشيخ عبد الرحمن الحوت[4] وغيرهم الكثير.

توفّيَ الشيخ الحوتُ رحمه الله سنة ستٍّ وسبعين ومائتين وألفٍ للهجرة بعدَ أنْ مرِضَ برهةً يسيرةً، ودُفِنَ في بيروت بجبّانة الباشورة وقد رُقِمَ على شاهدِ قبره أبياتٌ لم يُعْرَفْ قائلها أوّلها [الكامل]:

هذا ضريحٌ لا يُعادِلُ رَمْسَه مِسكٌ ولا حَصباءَه ياقوتُ

ترَكَ الشيخُ الحوتُ العديدَ من المؤَلَّفاتِ في العلوم المختلِفة منها:

1- كتاب في أسماء رجال الإمام البخاري.
2- رسالة تحتوي على منثوراتٍ فقهيَّة.
3- الدُّرَّة الوضيَّة في توحيدِ ربِّ البريَّة.
4- شرح مطوَّل وشرح موجزٌ على "بانتْ سعاد".
5- رسالة في الإسنادِ والاشتقاق. وغيرها.

كما كان له شِعْرٌ فائقٌ لكنه كان مُقِلًّا منه لاستغراقِ أوقاتِه في الوعظِ والتَّدريس، عُثِرَ له على اليسير من شعره وهو تشطيرٌ لبيتين هما [الطويل]:

ومن عجبٍ أنَّ الصوارمَ والقنا تحيضُ بأيدي القومِ وهي ذكورُ
وأَعْجبُ من ذا أنَّها في أَكُفِّهِمْ تؤجِّجُ نارًا والأكُفُّ بُحورُ

---

[1] هو أديبٌ من أهل بيروت ومُحَدِّثُها ومفتِيها، تولّى فيها القضاءَ والإفتاءَ، وله نظمٌ جيّد، أخذ عنه الشيخ الحوت علمَ الحديث درايةً وروايةً، وله منه إجازة، توفي في بيروت سنة ستين ومائتين وألف. ينظر إتحاف الهداية، (الحوت، 2014، 8 - 9).

[2] هو الشيخ عبد الباسط بن عليّ الفاخوري، تولّى منصبَ الإفتاء في بيروت سنة ست وتسعين ومائتين وألف، عالِمٌ عاملٌ وفقيه راشد، له مؤلفات عديدة منها: الكفاية لذوي العناية، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة. (الزركلي، 1986، 271/3).

[3] هو شيخ وأديب وشاعر، ولد في بيروت سنة 1256ه، تدرَّجَ على مشاهير الأئمّة في القرآن والأدب والشعر، ثم سلك سبيل التدريس مدةً من حياتِه، فكثُرَ تلاميذه، توفي سنة 1328ه، (الزركلي، 1986، 184/5)، و (الداعوق، 1970، 176).

[4] هو الشيخ الفاضل نقيب الأشراف عبد الرحمن بن محمد الحوت، ولد في بيروت وتربَّى على يَدَيْ والده الشيخ محمد الحوت، وسار على منهاجه فحفظ القرآن واشتغل بالعلم تحصيلًا وتدريسًا، تولّى منصِبَ الإفتاء في بيروت مدّةَ ثلاثِ سنوات، توفي سنة 1336ه. (الحوت، 1999، 55)، و (الداعوق، 1970، 93).

شطَّرَهما الشيخ الحوتُ بقوله [الطويل]:

(ومن عجبٍ أنَّ الصوارمَ والقنا) رحى كلِّ حربٍ في الفلاةِ تدورُ
ولم أرَ من عيبٍ بها غيرَ أنها (تحيضُ بأيدي القومِ وهي ذكورُ)
(وأعجَبُ من ذا أنَّها في أكُفِّهِمْ) تميلُ لها الأرواحُ وهي تمورُ
كآلِ رسولِ الله أضحتْ سيوفُهم (تؤجّجُ نارًا والأكُفُّ بحورُ)

عاشَ الشيخُ الحوتُ في القرن الثالث عشر الهجري في زمنِ دولةِ بني عثمانَ، التي انتقلت الخلافةُ إليها سنة ثلاثٍ وعشرين وتسعمائةٍ للهجرة واستمرَّتْ عقودًا من الزَّمن، لقد كانت تلك الحِقْبَةُ حِقْبةً تاريخيَّةً برزت فيها الحياةُ العلميَّةُ من خلال كثرةِ التَّصنيف وبناءِ المساجد وإنشاء الكتاتيب لتلقينِ القرآن والحديثِ وبقيَّة العلوم الدينيَّة والعربيَّة، وكان لطرابلسَ الشام نصيبٌ من الأعلام والعلماء الذين جالوا في الحديث والتفسير والأدبِ والشِّعر وغيرِها من العلوم تصنيفًا وتدريسًا، كما قامَ علماءُ بيروت على مساجدِها وزواياها فكان للشيخ محمد درويش الحوت بصمةٌ كبيرةٌ في هذا المجال وهو واحدٌ من هؤلاء العلماء الذين استفرغوا ما حوتْه صدورُهم في مؤلَّفاتِهم رجاءَ أن ينتفع بها من شاء الله له ذلك.

إنَّ كتاب "أعجب العجب في مباحث مفرداتِ لغة العرب" واحدٌ من هذه التآليف النَّفيسة، استهلَّه المصنِّفُ بما ينسجمُ مع عنوانِه فشرَعَ بذكرِ بعضِ الألفاظ التي تدور بكثرةٍ على الألسنة مثل: لو ولولا وبل وهل ومثنى وثلاث واسطاعوا واستطاعوا فشرح معانيَها واستعمالاتِها واستشهد لها من القرآن أو من شعر العرب أو غيرِ ذلك. بعد ذلك تناولَ مسائِلَ في علم النحو كأفعال المقاربة والنواسخ وحروف العطف وغيرِها، ثم يختم بتفسيرِ بعض الآيات القرآنيَّة ربَّما للإشارةِ منه إلى أنَّ كلَّ ما سبقَ من علوم اللغة إنَّما هو آلةٌ لفهمِ كتابِ الله عزَّ وجلَّ ولفهم الأحكام والشَّريعة.

فما هو مَسْلَكُ هذا الكتاب ومنهجُه؟ هو باختصارٍ منهجٌ تعليميٌّ تطبيقيٌّ فيه الرَّبطُ بين علومِ العربيَّة والشَّريعةِ وفيه تيسيرُ المادَّةِ العلميَّة التي جمعت بين جزالةِ المعلوماتِ ووفرتِها من جهة وبين بساطتِها وقربِها من الأفهام من جهةٍ أخرى، فما هي الآلات والوسائل التي أعطت الكتاب هذه المزيَّة؟

سؤالٌ أجيبُ عنه من خلال أنموذجِ مبحثِ حروفِ العطف، لعرضِ الأمثلةِ، والاستشهادِ على ما قدَّمتُ وذلك عن طريقِ بيانِ:

1- التحليلِ النَّحويِّ المرتبطِ بالبلاغة.
2- الجمعِ بين التفسيرِ اللغويِّ العميقِ والأسلوب التَّعليميِّ الميَسَّر.
3- تسهيلِ فهم النُّصوص الشَّرعيَّة من خلالِ إيضاحِ معاني المفردات.
4- تعزيز إتقان استخدامِ أدواتِ الرَّبط.
5- الاعتمادِ على تحليلِ معاني حروف العطف والتدقيقِ في دلالاتها ممَا يعكِسُ درايتَه الواسعةَ في علم النحو.
6- الاستعانةِ بكثرةٍ بالشواهد اللغوية من القرآن الكريم مع تفسيرها وبيانِ موضعِ الشاهد فيها وبالشعر العربيّ التقليدي المتكرِّر وبالجديد الذي ربّما يكونُ هو أوَّلَ من استشهَدَ به على المسألةِ المذكورة.
7- المقارنةِ بين المعاني المتعدِّدةِ للحرف الواحد أو للحروفِ المتشابهة والإشارةِ إلى الفروق الدَّقيقة في استعمالاتها.
8- الاعتمادِ على التدرُّج في عرضِ المفاهيم ممّا يساعد القارئ على استيعاب المحتوى دون عناءٍ زائدٍ.

9- الحرصِ على استعمال لغةٍ علميَّة أدبيَّة سهلةٍ يسيرةٍ تجعل القارئَ أكثرَ انجذابًا للكتاب.

ثانيًا: تعريف حروف العطف عند النحاة.

تُعَدُّ حروفُ العطفِ من أبواب النحو الأساسيَّة التي شغلَت اهتمامَ النُّحاةِ قديمًا وحديثًا، لأنها ركيزةٌ من ركائز ربط الجمل بعضِها ببعض وإظهارِ المعاني والعلاقات بين الألفاظِ والتراكيب، وقد وردَ ذكرُها في كتبِ المدرسةِ البصريَّةِ والكوفيَّة، ونالت اهتمامًا واسعًا في مؤلَّفاتِ النحو الكبرى مثل الكتاب لسيبويه، وشرح الكافية للرضي، ومغني اللبيب لابن هشام.

عرَّفَ النحاة حرف العطف بأنه حرفٌ يدخلُ بين شيئين ليشرك الثاني مع الأول في الإعراب فهو يفيد الاشتراكَ في الحكمِ الإعرابيّ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه، وهي قسمان، قسم يشارك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والإعراب ويشمل: الواو والفاء وأو وثم وحتى وأم، وقسم يشارك بين المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب دون الحكم ويشمل: بل ولا ولكن (مغالسة، 2016، 478).

يصل عدد هذه الأحرف إلى تسعة وهي: الواو والفاء وثمَّ وأو وحتّى ولكنْ وبلْ ولا وأمْ وإمَّا.

المبحث الثاني: حروف العطف في كتاب "أعجب العجب في مباحث مفردات لغة العرب".

أولا: عرضُ الشيخ الحوت لحروف العطف وتقسيمُه لها:

بشكلٍ عامٍّ استخدم الشيخ الحوتُ التقسيم المنهجيَّ التقليديَّ لحروف العطف مبتدئًا بالواو أمِّ الباب مختتِمًا بلكنْ، فيستعرِضُ كلَّ حرفٍ، ويذكر دلالتَه ومعناه، ثم يعطي الشواهد من القرآن ومن الشعر وأحيانا من النثر، لكنه يستطرد في بعض المسائل الدَّقيقة التي تُسهِمُ في الإيضاح، فهو مثلا عند كلامه على الواو أَخَذَ يُفَرِّقُ بين العاطفة والاستئنافيَّة، ثم ذكر حكم هذه الحروف إذا دخلت عليها همزة الاستفهام فتارةً حينئذٍ يكون العطف بها على مقدَّرٍ وتارةً يكون الحرف أُتِيَ به لحسن التركيب، وذَكَرَ حكم الواو إذا دخلت على فعلٍ فيه لامُ التَّعليل ولم تُسْبَقْ بمثلِها فهي أيضًا عاطفةٌ على مقدَّرٍ، وكذا فَعَلَ مع باقي الحروف حتى خَتَمَ بلكِنْ، ثم وبدون تمهيدٍ عادَ مجدَّدًا إلى الواو ليتناولَ جميعَ أنواعِها ثمَّ يُفَرِّعَ إلى الفاء والفعلِ المنصوبِ بعدهما بأن مقدَّرةٍ، فذكر للواو أربعة عشرَ استعمالا ثم انتقل إلى بابٍ آخرَ هو باب الاشتغال.

ثانيًا: الاهتمام بالتحليل النحويّ المرتبطِ بالبلاغَة.

يُستخدَمُ حرفُ العطفِ في البلاغة لتحقيقِ أغراضٍ مثلِ التفصيلِ بعد الإجمال والتوكيد وغيرِها، فاختيار الحرف المناسب يُسْهِمُ في إيصالِ المعنى بدقَّةٍ بلاغيَّةٍ عالية، فليس كل حرفٍ يقومُ مقامَ الآخر في جميعِ الأحوال، لذا حظِيَ الاعتناءُ بمعاني هذه الحروف اهتمامًا واضحًا لدى الشيخ الحوت. فكيف عَرَضَ لهذه الدّلالات؟

عَرَضَها من خلالِ:

1- بيانِ كيفيَّة انسجامِ الحرف مع النصوص في تقديم التسلسل والتّوازي بين عناصرِ الكلام.

2- وتوجيهِ النَّصِّ نحوَ المعنى المقصود، فكلُّ حرفٍ يُضفي توجُّهًا معنويًّا خاصًّا كالتعقيب والترتيب والتخيير والإضراب والاستدراك والتدرُّجِ وغيرِها.

3- وتحقيقِ قصدِ المتكلِّم أو المؤلِّف من اختيارِه للحرفِ المناسِبِ الذي يُعزِّزُ مقصِدَه الكامنَ في عباراتِه.

كما نراه مع كلِّ ما سبق يدخل في بعضِ تفاصيلِ مسائل علوم البلاغة، ككلامه على بعضِ أحكام الفصل والوصل الذي هو من علم المعاني في البلاغة، فأورد الأمثلة لذلك كقوله تعالى: (وكلوا واشربوا

ولا تسرفوا)[5] الواو عاطفة لأنَّ بين الأكل والشرب مناسبةَ المنفعة، فإن لم يكن مناسبةٌ فلا عطفَ، أو كانت مناسبةٌ لكن وقع الفصلُ لنكتةٍ كما في قوله تعالى: (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان)[6] والنكتة إفادةُ أنَّ كلَّ جملةٍ فيها آيةٌ مستقِلَّةٌ تدلُّ على عظيم قدرة الله عزَّ وجلَّ.

كما أتى على ذكر مسألة اللفّ والنَّشر[7] في علم البديع عندما تكلَّمَ على إحدى معاني "أو" العاطفة في قوله تعالى: (وإنَّا أو إيَّاكم لعلى هدى أو في ضلالٍ مبين)[8] فقال: "هي للإبهام[9] عند النّحاة وهو غير ممنوع، ولكن لو جُعِلَ من باب اللفّ والنَّشر المرتَّبِ لكان حسنًا ا.ه"

أما حين تكلَّم عمّا إذا ذُكِرَ أمران لهما تَعَلُّقٌ بأمرين قبلَهما كالحالَيْنِ من شخصَيْن والضَّميرَيْن بعد شيئين الأصل في ذلك تقديمُ مُفَسِّرِ ضميرِ الغائبِ ولا يكون غيرَ الأقرب إلا بدليل، فقد استَشهَد له بأبياتٍ رائعةٍ لابن الفارضِ[10] قالها حين دخل دمشق وكان وقتَ وباءٍ وبَلاءٍ يَجمَعُ فيها بين البديع اللفظيّ وهو الجناس[11] وبين المسألة النحويَّةِ البلاغيَّةِ المشارِ إليها وهي [الرمل]:

جِلّقُ جَنَّةُ من تاه وباهى ورباها منيتي لولا وَباها
قيل صِفْ لي بَرَدى كوثرَها قلتُ غالٍ بَرَداها بِردَاها
وطني مصر وفيها وَطَري ولعيني مُشتهاها مُشتهاها

مُشتهى الأوّل يرجِعُ لعيني وهو بدلُ اشتمالٍ، والثاني يَرجِعُ لمصر، والمعنى حينئذٍ: مُشْتَهى عيني مُشتهى مصرَ، والجناس واقع بين "وباهى" و"وباها" وبين "بَرَداها" و"بِرداها".

ثالثًا: الجمعُ بين التفسير اللغويّ العميقِ والأسلوب التَّعليميّ الميَسَّر.

لقد دمج الشيخ الحوت في تناوله لحروف العطف بين اللغة القويَّة الجزلةِ المتماسِكة وبين سلاسةِ عَرْضِ الأفكارِ وتسلسُلِها من خلال اعتماده التقسيمَ والتدرُّجَ في المسائل مع تقديم الأمثلة الواضحة التي يفهمُها العوامُّ فضلًا عن الخواصّ، مبتدئًا بالواوِ أمِّ الباب فيعرِضُ أنواعَها ومعانيَها فيُفرّقُ بين ما دَقَّ منها ويبيّنُ أحكامَ ما يأتي بعدها، ويقدّم الأمثلةَ السهلة المرتبطةَ بحياة المتعلِّم اليوميَّة والمرتبطة ببيئةِ المؤلِّفِ الدِّينيَّةِ فهو الشيخ المتربِّعُ على كرسيِّ الإفتاءِ في زمانِه، ومن ذلك:

- قوله في "أو": (كُلْ لحمًا أو عسلًا)، و(الجسمُ متحرّكٌ أو ساكنٌ) و(الصلاةُ فرضٌ أو نَفْلٌ).
- وفي كلامه على عطف الجمل بعضِها على بعض: (الصلاةُ عبادةٌ بدنيَّةٌ والزكاةُ ماليَّةٌ).
- وفي اختياره للشواهدِ القرآنيَّة البيِّنةِ المعنى، والشواهد الشِّعريَّة الفصيحة الواضحة المتعلِّقِ بعضُها بمدح النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم، فالأول كقوله تعالى عند كلامه على الفاء بأنها للترتيب: (الذي خَلَقَ فسوّى والذي قَدَّرَ فهَدى)[12]، والثاني كقول الشاعر عند كلامه على الفعل المنصوب بأن مقدَّرةً، والواقعِ بعد النَّفي [البسيط][13]:

فإنَّ فضلَ رسولِ اللهِ ليس له حدٌّ **فيُعْرِبَ** عنه ناطقٌ بفمِ

---

[5] سورة الأعراف/31.
[6] سورة الرحمن/1، 2، 3، 4.
[7] هو ذكر متعدِّدٍ على جهة التفصيل والإجمال ثم ذكرُ ما لكلِّ واحدٍ من غير تعيين، ثقةً بأنَّ السامعَ يردُّه إليه. (الصعيدي، 2005، 600/4).
[8] سورة سبأ/24.
[9] الإبهام هو أن يكون المتكلِّمُ عالِمًا بالنسبة ولكنه أبهم على المخاطَبِ لنكتة. ينظر شرح حلية اللب المصون على الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون، (المنياوي، 1938، 78).
[10] هو عمرُ بنُ عليّ المعروفُ بابنِ الفارض، ناظم الديوان المشهور، المصريّ المولد والدّار والوفاة، ولد سنة 576ه بالقاهرة، وتوفي فيها سنة 632ه، (العسقلاني، 1971، 317/4)، و (ابن العماد، 1970، 149/5).
[11] الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ مع اختلاف المعنى، وهو أنواع. (الصعيدي، 2005، 640/4).
[12] سورة الأعلى/2، 3.
[13] البيت للإمام البوصيري من قصيدته الشهيرة: البردة (الهيتمي، 2003، 270).

- وفي اعتماده على تبسيط المصطلحات من غير أن يتخلّى عن عباراتِ مَنْ سبقه من النحاة، مثال ذلك: استخدامه عبارة "بعد فترة" مكان عبارة "التراخي"، وعند تفريقه بين الشك والتشكيك في الإبهام يقول: الشك يتعلق بالمتكلِّم وأما التشكيك فيتعلق بالمخاطب.

- وفي استفاضته في شرح مسألة ما بإعطائه الشاهد القرآنيَّ ثم إردافه بشاهد من كلام العامّة اليوميّ، ككلامه على مسألة التعريض حين تُستعمَلُ فيه "لكنْ"، فاستشهد لها بالآية: (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم)[14] يقول: فهو تعريض بالمشركين بأنهم لم يجاهدوا، يُتْبِع الآية بنحو قول القائل مخاطِبًا زيدًا: أنا لا أترك الصلاة ولا أكذب، تريد أن زيدًا يترك الصلاة ويكذب، وهو في ذلك كلِّه لا يتجاوز في التبسيط إلى حدِّ الإخلالِ بالمعنى أو جعلِه ركيكًا، وذلك إن دلَّ على شيءٍ فهو يدلُّ على تمكُّن المصنِّف ودرايتِه بما يصنِّف حقَّ الدراية.

المبحث الثالث: البعدُ التطبيقيُّ في منهج الحوت.

أولا: تسهيل فهم النصوص الشرعيَّة من خلال إيضاحِ المعاني ضمنَ السياقات.

هو عمدةُ أسلوب ومنهج الشيخ الحوت في مبحث حروف العطف حيث طغى استشهادُه في كتابه كاملا بشكل عام وفي هذا المبحث بشكل خاصّ بالآيات القرآنيّة؛ فهو ينقل بذلك الحروف من مجرد أداةٍ نحويَّةٍ جامدةٍ يتكرَّرُ تَعدادُها في أبوابِ النحو إلى عناصرَ تحملُ قوَّةَ التأثير في النَّصِّ فتسهّلُ فهمَه وتُبرزُ دقائقَه، فما الفرق بين الواو في قوله تعالى: (لنبيّنَ لكم ونقرُّ في الأرحام ما نشاء)[15] وفي نحو قوله سبحانه: (خلق الله السمواتِ والأرضَ)[16] فالثانية عاطفة والمناسبة بين السموات والأرض واضحة، أما الأولى فاستئنافية وليست عاطفة على قراءة الرفع[17] إنما ما بعدها جملة مستأنفة لبيان مدة اختلافِ الحمل، أما "أو" فمن معانيها الإضراب إذْ كان المعنى الترقّيَ من حالةٍ إلى أخرى أعظمَ منها كقوله تعالى: (وأرسلناه إلى مائةِ ألفٍ أو يزيدون)[18] وكقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: "كن في الدُّنيا كأنَّكَ غريب أو عابرُ سبيل" (البخاري، 1400ه، 4/ 176)، فيختلف معناها عما ورد في نحو قوله تعالى: (فكفارته إطعامُ عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة)[19] فهي في الأخيرةِ للتخيير حيث لا يُجمَعُ بين المتعاطِفَيْن ولا ترقّيَ من حالةٍ إلى أعظمَ منها.

وهكذا فعل المصنف في جميع حروف العطف مؤكِّدًا للمتعلِّمين أنَّ اللغةَ النَّحويَّةَ شِرْيانُ مَعانٍ تَنبِضُ به نصوصُ الشريعة واللغة، وأنَّ للسِّياقِ الأثرَ العظيمَ في اكتشافِ المعنى.

ثانيًا: تعزيز إتقان استخدام أدوات الربط

يتبين ذلك بإيضاح الفروق الدَّقيقة بين معاني حروف العطف المتشابهة، أو البحث الدّقيق في المعاني المتعدِّدَة والاستعمالات المختلِفة للحرفِ الواحد، كتفريقِه في الواوات بين العاطفة والاستئنافيّة والدالَّة على المعيَّة مبيّنًا السياقَ الذي تَرِدُ فيه كلٌّ منها، وكضربِه العديدَ من الأمثلة في التفريق بين الفاء العاطفة والاستئنافيّة والتي هي للتعليل والرابطة للجواب، وكتفريقِه في معاني "لا" بين مجيئها في سياق النفي والإثبات أو بين كونها دالَّةً على الترقّي من حالةٍ إلى أخرى ومتى يجب تكرارُها، فهمُ كلِّ ذلك يقودُ إلى حسنِ الاستعمال لأدواتِ الرَّبط التي تُعَدُّ حروفُ العطف من أهمِّها، الأمرُ الذي يُظهِرُ بدوره جمالَ اللغة العربيَّة في إبرازِ المعاني.

---

[14] سورة التوبة/88.
[15] سورة الحج/5.
[16] سورة العنكبوت/44.
[17] قراءة الرفع هي قراءة الجمهور، وقراءة النصب هي قراءة يعقوب وعاصم في رواية. (أبو حيان، 1993، 327/6).
[18] سورة الصافات/147.
[19] سورة المائدة/89.

ثالثًا: الجانبُ التعليميُّ في كتاب "أعجب العجب"

هذا الجانبُ هو خلاصةُ ونتيجةُ كلِّ ما تقدَّمَ من بيان منهج الشيخ محمد درويش الحوت في كتابه "أعجب العجب"، فادِّعاءُ أنَّ الشيخَ الحوتَ انفردَ بالتأليفِ في هذا المبحث لا شكَّ ببطلانِه، إلا أنه لا بدَّ من الاعترافِ له بأسلوبٍ متميّزٍ وسبكٍ متسلسلٍ مترابطٍ متناغِمٍ، لم يخرج به عن طريقة النحاة المعهودة، لكنَّ اللافتَ هو عَرْضُه الاستطراديُّ لزيادة الفائدة، وكثرةُ الاستشهاد وانتقالُه من مسألةٍ إلى أخرى حيث يكون نوعُ ارتباطٍ بينهما ثم رجوعُه بعد انتهائه من هذا السَّرْدِ إلى أول المبحث من جديد ليُبَيّنَ تفصيلًا زائدًا على ما مرَّ معرّجًا على مسائِلَ لا نجدُها في العادةِ مبوَّبةً في كتب النحو، بهدفِ استيفاء الموضوعِ من جميع جوانبِه، فكأنه يضع نفسه مكان الطالبِ المتعلِّم محاولًا إجابتَه على ما قد يعرِضُ له من استفهاماتٍ تدورُ حول الموضوع وتتعلَّقُ به بشكلٍ أو بآخر، يحسُنُ الاستدلالُ هنا على ما ذكرتُ بكونِه كان يُملي هذا الكتاب على ولدِه الشيخِ عبد الرحمن الحوت[20] فقد كان في العقد الأول من عمره حين أملى عليه والده ذلك فنسخَه، فكيف لفتًى بهذا العمر أن يفقَه هذا العلمَ إلا بتوفيقٍ من الله أولا، وبلغة المعلِّمِ السهلةِ اليسيرةِ الصالحةِ للمبتدئِ وللمتمرّسِ معًا ثانيًا.

خاتمة البحث وأهمُّ نتائجه:

لقد أتاح هذا البحث فرصةً للتأمُّل في عمقِ المعالجةِ التي قدَّمَها الشيخ محمد الحوت في مبحث حروف العطف، حيث لم يكنْ طرحُه مجرَّدَ عرضٍ لأحكامٍ نحويَّةٍ مألوفة، بل اتَّسَمَ بطابَعٍ تحليليٍّ يستندُ إلى نظرةٍ شموليَّة تجمع بين المعنى والسياق وبين القاعدةِ وتطبيقِها.

أظهر التحليلُ أنَّ الشيخ الحوت قد تعاملَ مع حروف العطف بوصفِها أدوات تعبّر عن علاقاتٍ معنويَّة دقيقة تتجاوز مفهومَ الإعراب المجرد إلى بِنيَةِ المعنى، وقد استطاع المصنِّف أن يوجِّهَ القارئَ إلى هذه الأبعاد بأسلوبٍ يخلو من التعقيد، ويقوم على ترتيب الأفكار ووضوح العَرْض.

ومن خلال تتبُّعِ مواضعِ الاستشهادِ بالآيات القرآنية وبفصيحِ شعر العرب تبيَّنَ أن الحوت لم يورِدْها على سبيل التمثيل فحسب، بل جعلها محورًا لفهمِ وظائف الحروف في مستوياتِها العُليا من البيانِ والفصاحة مما يدلُّ على وعيٍ لغويٍّ وتربويٍّ متين.

أما على مستوى الطرح، فقد عكس الكتابُ توجُّهًا تعليميًّا واضحًا في طريقة تقديم المادّة، يراعي فيها حاجاتِ المتعلِّم، ويوازن بين المعرفة النظريَّة والتطبيقِ العمليّ، وهو ما يجعلُ هذا النموذجَ جديرًا بأن يُستثمَرَ في تطوير مناهجِ تعليمِ النحوِ العربيّ.

وبناءً عليه فإن النتائجَ التي خلص إليها البحثُ تؤكِّدُ أن الشيخَ الحوتَ يمثِّلُ منهجًا علميًّا خاصًّا في خدمة اللغة العربيّة يجمع فيه بين وضوحِ المقصِد ودقَّةِ المضمون.

توصيات البحث:

1- الاهتمام بإحياءِ تراثِ الشيخِ محمد الحوت من خلالِ تحقيقِ أعمالِه اللغويَّة والنحويَّة وطباعتُها طبعةً علميَّة محقَّقةً تسهِّلُ دراستَها والاستفادةَ منها.

2- إدراجُ منهج الحوت التعليميّ في تدريس النحو في عصرنا الحديث خاصَّة في المراحلِ الجامعيَّة لما يتميَّز به من وضوحٍ وتسلسلٍ واستحضارٍ للشواهد القرآنية والبلاغيَّة.

3- تشجيعُ البحوث التطبيقيَّة التي تدرُسُ حروفَ المعاني ومنها حروف العطف في كتب التراث بأساليبَ حديثةٍ تجمعُ بين الوظائفِ النحويَّة والدّلالات السياقيَّة.

4- إعدادُ دراساتٍ مقارنة بين منهج الحوت في حروف العطف ومناهجِ علماءَ آخرين كابن هشامٍ

[20] تقدّمت ترجمته في ترجمة تلاميذ الشيخ محمد الحوت.

أو السيوطيّ لإبرازِ المزيد من الخصائص المميّزة لأسلوبِه.

5- توظيفُ ما ورد في كتاب "أعجب العجب" في مناهجِ تعليم العربيّة للناطقين بغيرِها لما يحتويه من نماذجَ توضيحيَّةٍ تيسِّرُ الفهم.

6- تحفيزُ الباحثين على دراسة الوظيفة البلاغيّة لحروف العطف في القرآن الكريم وفي شعر العرب من خلال مقارنتِها بما ورد في كتب النحو التراثيَّة ومنها كتاب الشيخ الحوت هذا.

فهرس المصادر:

- الأندلسي، أبو حيان. (1993). **البحر المحيط**. (تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض). (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

- البخاري. (1400). **الجامع الصحيح المسند**. (تح: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وقصي محب الدين الخطيب). (ط1). القاهرة: المطبعة السلفية.

- الحوت، عبد الرحمن بن محمد. (1999). **الأوقاف الإسلامية في لبنان**. (د.ت.) بيروت: دار صادر.

- الحوت، كمال. (2014). **إتحاف أهل الهداية بما للشيخ محمد الحوت من الأسانيد والرواية**. (ط1). بيروت: شركة دار المشاريع.

- الداعوق، كامل محيي الدين. (1970). **علماؤنا في بيروت، صيداء، طرابلس، البقاع**. (ط1). بيروت: (د.ت.).

- الزركلي، خير الدين. (1986). **الأعلام**. (ط5). بيروت: دار العلم للملايين.

- الصعيدي، عبد المتعال. (2005). **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح**. (ط17). القاهرة: مكتبة الآداب.

- العسقلاني، ابن حجر. (1971). **لسان الميزان**. (ط2). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

- ابن العماد الحنبلي. (1970). **شذرات الذَّهب في أخبار من ذَهب**. (د.ت.). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

- كحالة، عمر رضا. (1957). **معجم المؤلفين**. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- مغالسة، محمود حسني. (2016). **النحو الشافي الشامل**. (ط5). عمان: دار المسيرة.

- المنياوي، مخلوف البدوي. (1938). **حاشية الشيخ مخلوف البدوي المنياوي على شرح حلية اللب المصون على الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون**. (د.ت.). القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.

- الهيتمي، ابن حجر. (2003). **العمدة في شرح البردة**. (تح: بسام محمد بارود). (ط1). دبي: دار الفقيه.